مرّوا عليّ

عنوان الكتـــاب: مرّوا عليّ
اســم المؤلـــف: عيسى الشيخ حسن
المـوضـــــــــوع: شعر
عدد الصفحات: 128 ص
القيـــــــــاس: 14.5 ❖ 21.5 سم
الطبعـــة الأولى: 1000 / 2015 م - 1436 هـ
ISBN:

© جميع الحقوق محفوظة لدار نينوى
Copyright ninawa

دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع
سورية . دمشق . ص ب 4650
تلفاكس: 2314511 11 963+
هاتـــف: 2326985 11 963+
E-mail: info@ninawa.org - ninawa@scs-net.org
www.ninawa.org
دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع
Ayman ghazaly

العمليات الفنية:
التنضيد والتدقيق والإخراج والطباعة - القسم الفني: دار نينوى

لا يجوز نقل أو اقتباس، أو ترجمة، أي جزء من هذا الكتاب،
بأي وسيلة كانت من دون إذن خطي مسبق من الناشر.

عيسى الشيخ حسن

مرّوا عليّ

شعر

إهداء

إلى شبهة الغياب كما أحسها الآن

كما ينتظرها الحاضرون

لم يكن ظلّ صديقي عالياً.....
كي أستريح

حين آخينا البنفسج يا صديقي
كان ثمة إخوة نادوا علينا:
أن أقيموا أول الموتِ، ولا تنتظروا /
شفقا يبكي وليلاً يُستتاب
وكان ثمة أصدقاءُ تناثروا مثل الأهلّة
واستباحوا كلّ حزني / حين مرّوا
وارتقوا درج الغياب.

كان ثمة إخوة نادوا علينا

وتهادوا خوفهم في ليلِنا / و تعاموا

عن هزائمنا... طويلا

ومشَوا في النصّ ليلا

لم يرافقْهم أحدٌ

وتهادوا جفنها المبلول من «زعل» / ونادوا/

أن أقيموا أول الورد / وحثّوا

موتكم نحو مساء

لم يغسّل وجهه دمعُ سحاب.

كان ثمة ما يردّ النهر عن برد الشتاءِ

و كان من يبكي علينا لا يقول رأيتكم
في أول الموت / وكنّا
نملأ الريح صراخا / ثم نمضي
خببا ولهانَ بالنثر / وكنّا
نهجس الموت / ونضحكث
من (غشامتِنا) / و نُغضي
غائمين كعادة الثاوين في الذكرىٰ / وصاخبين
كنشوة الجرح الغضير

كان ثمة إخوة في آخر النهر / مضوا
يتبادلون بريدهم
ويسلّمون على القيامة
علَّمُونا كيف يُجترح الجنون
وكيف نتقنُ فتنة النص الجديد
وكيف نقبس جمرة الوعد الخبيئة
في السطور
وكيف نبكي
حين لم تحن علينا غيمة / أو نجمة
تركت جهات الليل وارتاحت قليلا

كان ثمة إخوة
كتبوا على خد الهواء رحيلَهم
ورموا على الورد السلام
.... فأورقوا
في أول البيت / وناموا في القصيدة

كان ثمّة عابرون إلى الخديعة
يكتبون سماءهم بنشيدنا
و يسافرون إلى النهاية
حاملين فخاخَهم / و جهاتِنا
وبلادَهم / و رئاتِنا
ودعاءَهم / وصلاتَنا
وخيوط أسئلة تتيه الآن في ثوب اللغة:
«ما غاية الشعراء من نثر الحديقةِ، عندما نرث الخطا/
و متى ستأخذنا القصيدة في ارتباك نشيجها/
بل كيف نصعد /
ثم نصعد /
في الجنونِ، و ما المسافة في دروب الصاعدين».

وكان حلم
لم نسيّج حوله إلا مرورا ضيقا بالوقت، يعدو
وامضا / عذبا / خجولا
قارئا رمح الكناية
في التقاويم الجديدة

كان ثمة إخوة مروا عليه / وسلّموا
سكبوا له نايا عليلا / و ارتدوا
شوق النوافذ / واستراحوا
وثّقوا بالرمل حزن الريح
واستلقوا فرادىٰ
نائمين / ونادمين / وهائمين
بلا وسائد كوّمت أحلامّهم تحتَ اللحاف
و لا بكاء صالح للقلب
أو حتىٰ تعب.

للبتفسج أن (يدشِّرَني) ويرحلُ
للبنفسج أن يغنّي
تاركا شجري على قوس البكاء
تاركا موتي قليل الأغنيات
وللبنفسج أن يمرّ بباب حزني
صاعدا هذا الشجى
ناثرا في أول السفر اعترافا دافئا:
«لم يكن ظل صديقي عاليا
كي أستريح».

حين آخينا القصيدة يا صديقي

وتهادينا الظلال

وتبادلنا جهات القلب والشعر

وحلم الأشقياء

ثم غادَرَنا البنفسج

و السفينة

والبحار

و نبض عشاق قليلينَ/ و جيش من زبدٌ.

كان ثمة إخوة في الحزن / مروا /

كم مشوا في النصّ ليلا

لم يرافقهم أحدٌ

إلى الذي يأتي ولا يأتي

خنقوا جهاتك
قلتُ أبلته القبيلة
قلتُ: يمكنُ أن ينامَ
كعشبة في كفّ صيفٍ مشتهىٰ
أو ندهة مخنوقة
في جوف موت.

لم أكن حذراً، تماما
كل ما في النصّ محتمل بنا
والقبيلة أسرفت في الموت
حتى جف في دمنا البنفسج
وانتهى لونا بريئاً
من جنون النزف
والإيقاع
والدنيا معاً

بعض ما في النص يكفي
كي نقيم بلاغة مجنونة فوق السطور
و نرتمي شجراً طريّاً في قيامتنا
وندنو من مراثينا
ونعدو في قصيدة عاشقٍ
بيتاً فبيتٌ.

والسماءُ ارتفعت عنا كثيراً
فاختبأنا في صدىٰ أنشودة كذابة
وتدثرنا برؤيا
قيل تُخفيها المراحل
قيل هجّــتها القصيدة
قيل تكبر
غير أنّا... شاغبت في كوخنا الريح
فنمنا
لم يكن في الجمرِ نبضٌ
قد يعزينا بوقت.

كنا بلونا الريح
فازدادت عناداً
واعتمرنا خوذة الكلماتِ
فارتاب الندىٰ فينا
وكنا...
خائفين من ارتباك مسافتين إلىٰ الحبيبة

أبداً..
ونعثـَر في الحكاية
كي نقول: بأن فراشة للضوء
بلَّلَتِ السوادِ
وأسرفت في الورد حيناً
لم تؤّول غير بردٍ في اليدين
ونجمة
حطـّت علىٰ الحلم الشقي
وسافرت في.... نهر صمتٌ.

فليسدد كل وعد نحو مرمانا اللغةْ
فإن أصابت وردها
فلها: التداني و العتابُ
رمادُ أصحابي الذين تركتهم
في أول الوقت فُرادىٰ
حين أبلتنا الجهات
كانوا في دمي يسعون
نحو متاهة الأسماء
في وجع حنون

لها نشور البرق في وديانا
أو غمغمات الرعد في أذن الجهات
وشمُ هذا النص منطلقاً إلى حبر الجريدةِ
و الهيولى كلها
وإن أصبت:
فلي تنائينا و خوفي
والمنتهى من كل حزن لائقٍ بالشعر
يوقدُ ليلَهُ قلم وزيتٌ.

* * *

ـ «كن لي دليلا»
قال منتشيا وأبلى في الدعابة
كنت أعرفه حفياً بالنهارِ
ودفترا لرماد أصحابي
و كحلاً في عيون الليلِ
قلت: «الأدلّـة ضيعوا جهة القصيدة
فاحتملني
سوف تضطرب الخطا
في رحلة النصّ الأخيرةِ
نحو معنى غامض
بين لكن... وليت».

خنقوا جهاتك

فاستعرّ

من هدنة الأشياء نزفاً

و استرح

إن قيل هدّتنا المراحلُ

وانتظر

غيماً بعيداً عن مجال العين

وارفع

نصفك المملوء يأساً نحو خضرته

و هادن

لا تقل لي: «جادك الغيث

إذا الغيث تبعثر»

أو تسمّعْ: «كللي يا سحب تيجان الربا»

لم نذرذر سكّــراً فوق القصيدة
كي تجيء شهية عند الصباح
ولم نوارِ سوءة الناجين في النصّ الأخيرْ
فاستعر لي
أيها الوعد جهاتٍ
أكملت في فصلها الباقي من الريح النداءَ
و ارتدت ثوب انتظار ضالعٍ
في فتنة التفسير ليلاً
واستعِرْ لي غصنَ ذكرىٰ
ملء أيامي
وصوتْ

يا صديقي
واحتمل ذل العشيرة
إن أتيتْ

إليها فقط

لها: أن تغيب
وأن تتدلل دوما عليّ
فتكسرَ بعضَ الصحون

تخبئ عني الجريدة حينا
لأطلب منها قراءة برجي
وترمي شتيمتها في غيابي
وتبذر أرض العتاب
نقاطا تسمّى البكاءَ
يسمّون ترحالها بين جفن وجفن
خوابي ندم.

لها: أن تبرر ما شاء قلب المحب
من الجمر يلمع في الذكرياتِ
من الحبر سال على برهتينا
من الوقت رفّ على كتفينا
كنحلة هذا الفراغ تطنّ
ونشوة هذا الألم.

لها: أن تغيبَ / وتحضرَ
تبكي / وتكتب
تأتي / و تعتبَ
تهمي اعتذارا
وتمضي / و تمشي
وتمشي / وتشهقَ أيامها
من نهار بعيد المودة والأقحوان

إلى نجمة في مهب الوداع

إلى وردة في يد العاشق المتردّدِ:

ـ أرحلُ؟

ـ لا..

ـ قد أظلُّ؟

ـ نعم

ـ لا

ـ نعم

ـ لا

ـ نعم.

لها: كلّ ما تتمنى البناتُ على الخائبينَ:

«الأساورَ... ثوبُ الحرير

التسكعُ في طرقات المساء معا

و الكلامُ المنمّق يعبر من شفتيه إليها

: «أحبّكِ.. أو

(وحشَتني شقاوتكِ)

الأمسِ قطفتُ لكِ الكلمات من الموت

صباحك طلٌّ يهدهد صحو حساسينه.

القبيلة دائخة والضبابُ كثيفٌ.

إلى آخر هذا الكلام».

لها كل ما تتمنى البناتُ

على الغائبين الذين قضوا في الهزيع الأخير من الروح

فوضى الحنين

وهم يذبحون هواءً قليلا

يمرّون خوفا فخوفا عليها

و ينسون فتح شبابيكهم

يا الأغاني اعبري حيث تملأ جرتها

وتغنّي له:

«يا الأغاني وإن عدت من عندها

لا تعوديّ إلي

اذهبي حيث تموت الأغاني من الحب

و تجرح غيم السؤال القديم:

«أما آن لي أن أحلّقَ ملئي

خفيفاً / خفيفا من الذكريات

صغيراً

كنقطة ضوءٍ تمرّ (شقاواتها)

بين يدين تقيمان حلما شهيدا

على حجر الوقت

كرشفة حزن تبرّر للشعراء القصيدة

للفقراء البلادَ

وللعاشقين ورود العدمْ.

لها ولها ولها

غير هذا المساء

مسائي الذي لم يَحُنّي

مسائي الذي سأحوك له كنزة

للشتاء الطويل

لآخر هذا الشتاء الطويل.

شفق خضيب الاحتمالات

ليس من عجبٍ
أرىٰ الأسماء ناسلةً
من ثوب معناها تماما
كالخريطةِ
يستوي في لمسها الناجون والغرقىٰ
كالفضيحة تحتفي بالثرثراتِ
علىٰ سرير الشاشة البيضاء
و(النت) الصغيرِ
وتنتهي في شارعين تقاطعا فوق الحكايةِ
خضّبا موتا قليل العابرين

و كالنهاية يرتمي في فخـّها العشاقُ

و الفقراءُ

والنهرُ الضنين بحالمينَ

يسافرون إلى المجازِ

فيعثرون.. وينهضون

ويعثرون وينهضون... ويعثرون.

ليس من تعبٍ
أرىٰ ظلّ الحديقة عالياً
في سعفة الدرويش يبكي
ليس من تعبٍ
أرىٰ ريحاً تجرّ سحابةً بيضاءَ آفلةً
تستمطر الصحو الكليل / وتدّعي
أنّ الغيوم السود آيلة إلىٰ وَهَن طويل
نرتجي من بعده جملا قصارا
ندّعي استظهارَها في كلّ وردٍ نازف اللونِ
غضيرٍ/ فاترِ اللمحِ
بريءٍ من بريد الموتِ
محمولٍ علىٰ بيّنةِ التأويل
بين سحابةٍ بيضاء آفلةٍ
وريح تستريحُ..... و لا تُريح

ليس من وصبٍ
أرىٰ الأقمارَ غائبةً
يُـغشّــيها الخسوف
وكانت لا تني تنحاز للرؤيا
فتزيّنُ الأيامَ للرائين
والطرقاتِ للماشين
والأشياءَ للشعراءِ
إذ خطروا علىٰ دربِ الجنونِ البكرِ
يعترفون بالآتي
وينتقلون من وهَجٍ
إلىٰ وهجٍ
إلىٰ وهج
ومن هجوٍ إلىٰ مدحٍ
إلىٰ هجوٍ

وفي لمِ الكلام مبعثراً
من نشوةِ الإعرابِ تعلو
حتىٰ خيمة الأعرابِ رفّت
في مهبّ السافيات
أرىٰ الأقمار حالمة
بخيط الضوءِ مذبوحاً
علىٰ عتمِ الجهاتِ
تقرأ في عثراتـنـا المتشابهاتِ
بلاغةَ الخسْفِ المهيمنِ
وانحدار قيامة تدنو
ليس من سغب
أرىٰ شجراً يقايض طيره باللحنِ
نهرا يقتفي أسماكه
و حصىً تقهقه في أيادي الراجمين

ليس من سببٍ
أرىٰ الضدين يتفقان
والبحرين يلتقيان
والنارين تبتردانِ
والأسرارَ ذارفةً
و حزناً يستطيلُ
وشهوة الإيماض في حطبِ الغوايةِ
واندلاع البحر بالسفن الغريبةِ
وانحناءِ قصيدتينِ
علىٰ سؤال باردٍ.. في أوّل الحرب

كذلك ليس من سببٍ
لنهجسَ نجمة في الظّل
ليس من سببٍ لنرسوَ
في أغانٍ ضارعاتٍ في السكينةِ
ليس من سببٍ لنلعبَ خائفينَ
وَ طارئينَ..
كأننا في آخر الشوط الأخير

ليس من عتبٍ
على الصيادِ
والأسماء
والأفعالِ
والأبياتِ
واللغةِ المهيضةِ
وانتظارِ الفجرِ
والنحوِ الغريبِ
وسادن الصياد
والبلغاءِ
والناسينَ
والباكينَ

والراثينَ
والأحلامِ
والموتى
القصيدةُ أكملت نزفَ المغنينَ جميعاً
ثم غافلَها شتاء

* * *

ليس من عربٍ
على قبر القصيدةِ
كي يحثوا فوقها هذا التراب

غروب

الحديقة مشغولة بالطيور
فلا تسألوا ولداً يستبيح الغيابِ
عن الآفلينَ
ولا تسألوا قمراً عالي الأغنياتِ
عن الراحلين إلى نومهم
آه.. لا تسألوا عابراً حافي الذكريات
عن الوردة الذابلةْ
ولا تسألوا سلم الوقت
حين تفيءُ الظلالُ إلى ما يُسمَّى المساء
لتمحو تفاصيل عشبٍ تردّدَ
قبل الذهاب إلى فتنةٍ لا تريم
فأغفى عليل المراحل
أحوى
بعيداً عن الودقِ
واللغة العاقلةْ

ولا تسألوا سلّة المرحلةْ
عن خطوط المتاهة في صفحة الأسئلةْ
ولا تسألوا العائدين إلى بيتنا
عن حرير الغيابِ
ولا تسألوا جرة الحبر عن هذيان الكتابةِ
لا تسألوا حجراً غابراً
عن غبار الحروب التي كان يشهدها
ثم يغمض عنها..
ويشتمُها
وينام

الحديقة مشغولة بالطيورِ
اعترفْت لها
واستَتَرْتُ بما يشبه الغيمةَ المُسدَلةْ
الحديقة مشغولةٌ
بارتباك الطيورِ
فلا تسألوا عن شحوب الأيادي الكليلةِ كانت تُلَوِّحُ
لا تسألوا
كيف يمكن أن تعود المراثي بقمصانها
ثم تسهر فينا
وتخطف منا الجمال القليل
نخبئه لاحتمال الغروب الأخير
ونلمسُهُ كلما حنَّ سهمٌ إلى قوسهِ
وارتدى لهفة «الكسعي» الجديد
وخيبته
في احتساب طرائده الناهلة.

الحديقة مشغولةٌ
كم عليّ الذهابَ
إلى محنة البطل المستجير بأصحابهِ
كلما قلب العابرون حكايتَهُ
في السطورِ
وأثنَوا على عنصر الحبكة المتقاةِ
وأبقَوه حياً
فلا الصفحات التي خبأته قليلاً
تغطّيه ليلاً
ولا الحجر الذي ظل يشهد فوضى الحروب
تغطّى به
فاستندتُ إليه
لأعرف كم ينبغي أن نغادرنا
لنعودَ
ونحلمَنا
لنفيء إلى شمِسنا الخَجِلةِ

الحديقة مشغولةٌ
بالأغاني التي سمرتنا طويلاً
والطيور التي رفرفت في الغناء
ولم تنحن للشتاء الجديد
وكنت اعترفت لها / ثم قلت:
يعذبُني أن تبوح المراثي بحزنِ المغنى
فلا تعبريني بكاءً
وشُدّي عليَّ وثاق الغموض
ولا تهملي نزقاً في النهاوند
يأخذُنا من حجارة أعمارنا
كي نكمّل هدّ الدقائق، حيناً
ونبني لهذا الغناءِ الذي ينتمي
درجاً في الفضاء
ونحفظه قمراً عالي الأمنيات
وزيتونةً مثقلة.

الحديقة مشغولةٌ
كم عليّ الذهابَ إلى ظلِّهِ
في حكاياتِ أصحابنا
وعليّ الذهابَ إلى ما اعترفْتُ بهِ
وعليّ الغياب قليلاً
ليشكرني صمتُهُ
ويودعَني
كم عليّ اقتسام طرائدِه المشتهاةِ
مع الريح
والليل
والجهة المعضلة.

العصافير مشغولةٌ بالسماء
فلا تنثروا في النصوص الشروح
ولا تعبروا شُبهة الحبكةِ المُنتقاة
الحديقة أيضاً ستمكث فينا
وان عذبتها الطيور التي غادرتنا
ونامت لنصحو
ونحلمنا فنفيءَ إلى فتنة
في دماء القصيدة
كي نتمرأى بنا
ونغنّي كذلكَ:
«كم أوّلتنا جهاتُ النشيد
و طالت بنا
مرحلةٌ
مرحلةٌ».

والحديقة مشغولةٌ بالحديقة أيضاً
فلا تسألوا ولداً فالتاً من دروب قصيدته
عن بروق الولَهْ.

المدينة

المدينة
المدينة غيم بهيٌ
حرير، ونعناع صيف كسول
يخبئ عنا المساءَ
المدينة كحلٌ وليل وسدرٌ قليلٌ
يمشّطُ أعيُننا
بارتباك الطيور على حزنه
فنهيلُ علينا الكلام المبعثر:
«كنّا هنا/ سنزور القبور غداً/
سنمرّ كما غصنين على ثرثرات الهواء».

المدينة رملٌ ونهرٌ

وحبرٌ توسّد جرتها في الغناء

المدينةُ صيفٌ

وليل صعاليكَ مرّوا

وقالوا لها: «اعبرينا/ نشبِّكْ لأنداء حزنك وردا غضيرا/ أيضاً: نحبك/ أيضاً: نمسّي عليك إذا أنّق العابرون المراثي

نهزُّ بجذع الكلام إليك/ استفيقي إذاً/ يا اختناق بريدي من الليل/ استريحي اذاً/ يا احتمالَ المودّةِ ضاعت/ وقولي: احتملتك/ غبتَ/ وجئتَ/ وغبتَ/ وجئتَ/ وكنتُ أضيئك/ قولي: «تركتك خمساً/ تفلُّ اغترابكَ/ قولي: أحبّكَ.. أيضاً/ وأشهقُ صورتك الغاربة»

على كفّ قناصةٍ
يستريح الحمام من الموت
ثمة حزن قليلٌ
وريحٌ تجيدُ التقيّةَ
ثمّةَ طاقية تستميل الرؤوسَ إليها
وثَمَّ طريق إليك يلوّحُ لي
فأراه شهياً
جديراً بشوق خطاي
إذاً؛ لا تَعُدّي عليّ حروفَ السفر
ولا تشرحي ليَ كيف ينام الحمام
على كف قنّاصةٍ
ويرخي على موتنا شغبا
أو هديلا

ولا تشرحي لي
إذا إن كان دربي إليك طويلاً طويلاً
سأعثر يوما عليَّ
إذا ألفتني الخناجرُ
تغمِدُ آهاتِها في مُتاحي
وتشكرني
سأعثر يوما على بعض خوفي
يموت من البردِ
على باب قناصة في مهب الضغينة.. تعلو
سأعثر يوما عليّ
فلا تتقصَّي خطوط المتاهةِ
وحدي.. كما كنت.. وحدي
أزفّ اخضراري إليكِ
وأنشج حينا
فقط كي يقول لي العابرون:
عرفنا ضياعكَ
فاصعد إليهِ
ولا تتخذ جبلا يرتديكَ
وينسى المدينة

المدينة تسرف في مدِّ فتنتها
وتؤوّل فينا القبيلة.. تمضغ أبناءَها
ثم تبكي عليهم
تؤوّل فينا الزرازيرَ
تهجرنا في الشتاء الطويل
والمراكب أغرقها العابرونَ
وضلُّوا
دفاترَ آبائِنا لا تشيخُ
يتأتِىء فيها هواةٌ
ويأخذها في المساءِ حواة
إلى حيث تومضُ شيئا قليلاً
فقولي: تَخفَّ عن الموت
قولي: تعالَ صباحا
وأبق لي الورقات التي رسمتني

وقولي سأرمي عليك جهاتي
فخذنيَ منّي
ودعْ لي فِخاخي
لعل الزرازيرَ تكتبُ عنّي شتائي
وقولي: تركت الوراء ورائي
وجمّعت فيّ مياهَ البكاءِ دليلاً
وخبأْتُ عنك دلائي
أخمن أني اتكأت على الحزن شيئاً
ونامت على كتفيّ طيور الحُبارى
سأمهل قلبي إذاً ليقول المدينة
يكمّل عدَّ شوارعها
والبيوتَ تفرّ إلى دفتري
والحمامَ إلى شجري
والصعاليك نحو براري سكوني
الصبابات ملئي
تجمّعْن.. حين ألفتُ الخناجر تلمعُ
والعاديات النؤومة
تعدو بجثتنا.. وتنام

أفلِّي صباباتها في الربيع
أعدّ أصابعها شارعاً شارعاً
فأقول اسبقيني إليّ
ولا تقلقي إن تراخى هديلُ الحمام
على كف قناصّةٍ
يذبحون المعاني التي كم شقينا بها
وظلّت دفاترُ آبائنا التي لا تشيخ
ترقِّشُها في الحكايةِ

لا تقلقي إن تأخّر موت المغني
المغنون فينا.. يموتون
إن تركتنا المعاني..
ولاذت بقناصةٍ
يعبرون حكاياتنا
مثل صيف بطيء

المدينة كهفٌ
أسرّ إليّ بحبر النصوصِ
وفتيته النائمين
يكيدون للحلم الذي يستريح.

مرّوا عليّ

مرّوا عليّ
عرفتهم من نفثة الحبر القليلةِ
في سطوري
كنت عرفتهم... سرباً من الموتىٰ
أطالوا في احتمالاتِ القصيدةِ
رفرفوا في أضلعي
فحسبت أن خيامهم نُصبت عليَّ
و جـفـّـفت تعبي
وحسبت أن جهاتِهم طلٌّ خجولٌ
فانتمىٰ في أضلعي دمع القصيدة
وارتدىٰ حزني دفاترَهم

مروا على ورقي... وكنت عرفتهم
عاثوا طويلا في السطورِ
وأولموا حبراً قليلا للمساءِ
وحلقوا في الحزن ليلا، ثم ناموا

وأنا
تركت هواءهم يحنو عليَّ
وينتمي
لا موتهم موتي
لأجسّ نبضي حينما تخبو النجومْ
لا حبرُهم غسقي
لأبني خيمةً فوق الرثاءِ
وأنحني دمعاً على أغصانهم
لا ماؤهم نبعي
لأشربَ سيرتي من كفّهم

كنت عرفتهم

مروا عليّ... وأولموا حبراً قليلاً

غادروا

ليل المدينةِ ناحلينَ

فكوموا

أيامهم في النصِّ

وانحازوا

إلى خوف النهايةِ

واصطفوا

شجراً ليرشدهم إلى المعنى

و يمشي في مواكبهم يمام

كنت عرفتهم
مروا على ورقي
و كان البرقُ مشدوداً إلى أقواسِهم
فتركت غيميَ حافِي الترحال
أرشدتُ النهاوندَ الحزينَ
ليأخذ الأسماءَ نحو نشيدِهم
ومددتُ ظلّي كي أدثرَهم بأغصاني
و أهتف: «لا تقيموا في الخريفِ، ولا تحثوا خيلَكم نحو الخريطة
لا تردّوا الموت إن نادى بكم».

كنت عرفتهم

مرّوا

علىٰ بئر الحكايةِ

أولموا

كلَّ الذئابِ

و زيّنوا

موتي

و عادوا

بالدمِ القاني علىٰ صدر القميصِ

و أشعلوا

حطبَ الغواية في مدىٰ الرؤيا

وتابوا

عن حبيباتٍ جرحن الليلَ بالموت القليلِ فأجهشت ريحُ الصبابةِ

ثم قطعّن النهاراتِ الحزينة بالأغاني

حَذِرا

أنام على السطور

أعيد للريح الشقية صوتها

ورماد أصحابي الذين تدلّلوا يوماً عليَّ

كما فعلتُ

وأسرفوا في الوردِ

قلتُ عرفتُهم

لولا اشتباه النصِّ ملتبساً على الرائين

والرؤيا على الموتى

وقلتُ عرفتُهم

يأتون عطشانينَ في قيظ المعاني

ماثلينَ لهمزة الوصلِ العليلةِ في البياضِ

وميم موتاهم

تغلّق دوننا سرب الكلام

فينثني عن موتنا الآتي كلامُ

كنت عرفتهم
لاماؤُهم مائي
لأشربَ سيرتي من كفهم
أو موتهم موتي
لأمشيَ في غوايتهم
وأركضَ في سرابي
لا حبرُهم نصي
لأنصبَ غيمتي فوق النشيدِ
وأنتهي من خيبةِ الولدِ المدلّلِ
في دروب الحزنِ يستـفتي الخطىٰ
في أول الدربِ
ويعثرُ كلما غاضَت حكايته
و أغضىٰ عن قراءتهِ الطريقُ
وهجّأَ
موتَــه الآتي الحمامُ

كنا هناك...
نجوس أقمار الذين تبعثروا فينا
ونذوق هاء الله في تهويمة الصوفيّ..
إن جرح الغيابُ ثياب أسئلتي
أو نرتدي سفر الهلاليين نحو الغربِ مخنوقين بالذكرىٰ
سماؤهم كانت هناكَ، وشمسُهم تبكي
لم يشدوا هودجاً في الليلِ
لم يعنَوا بنا
حين ارتكبنا أولَ الخوفِ
ارتبكنا أولَ الجمرِ
وخبأ وردُنا شغبَ الحكايةِ
واستفاضْ

هم خبؤوا لام الرحيلِ
وأوجسوا خوفاً غريباً في جيوبِ الليل
لا حائي محدبة لأمشيَ في دروب النص عكازاً
وأنسىٰ شمسَهم
لا ماؤهم مائي
ولا ترنيمة المجنون في أحوالهم شعرٌ
ولا الموتىٰ نيام.

كانوا هناكَ
توضؤوا
قبل الذهاب
و أوجزُوا
في الشرح تقريباً
وساروا
قيل انتبه
لا تنس قوسكَ في حقولِ رثائِهم
لا تحفرِ البئرَ القديمةَ
لا تثبْ عَجِلاً
إذا قيل الظلالُ تثاءبت
وانحازت الشمس القليلةُ للوضوح

كانوا هنا أيضاً:
طرائدُهم
ثمارُ شقائِهم
أسمالُهم في سوق ذاكرتي
و«نكاتهم»، تحبو
لتغصبَ دمعة فرحانةً مني
صراخهم ملء القصيدةِ
أوشكَ حارسُ المعنى الضرير معذَّباً
أن يلمسَ النايَ الذي تركوهُ
في جيب الحكايةِ
وانتهى عشباً عليلا
ماثلاً للنثر في أيدي الصعاليكِ اليتامى
ضارعاً
في أخضرِ الأنهار
حين تجيده امرأةٌ
ويحلمه غمامُ

وأنا نسيت
نسيتُ ما تركوه في شجري
من الظلّ الحنونِ
نسيتُ ما تركوه في جملي من الإعرابِ واللغةِ الطويلة
كنتُ نسيتهم أيضاً
ونسيت نسياني
فعدتُ لأذكر الـ شّطَبوه من كلماتِهم
في دفتر الحزنِ العتيقِ
وعشتُ بهاءهم

لا أوّل الذكرىٰ مسافةُ عاشقٍ تندىٰ قصيدته
لا موتهم موتي الذي لبثوه أحياناً
لأشرب سيرتي من كهفهم
و لا خببي صدىٰ خطواتهم... طالت
ولا كوخُ القصيدة آيل للبحر
متكئاً علىٰ سفني
و لا يمني شآم.

* * *

مرّوا عليّ
و أولموا حبراً قليلاً للمساء
و حلقوا في الحزنِ ليلاً
ثم ناموا

يا عيد!!

ها.. عدتَ من جهةِ الموتى
إلى جهةٍ قليلةِ الطير والمأوى
إلى جهتي
تشكو إليّ إياباتٍ منقّطة بفتنةِ الفقدِ والآتين في اللغةِ
وتستريح
كما شمعٍ إذا ذبلت فينا الحياةُ
فتزهو ملء أغنيتي

يا سيدي «العيد»:
هل أتقنتَ ما عجزت عنه التقاويم والرؤيا
إذِ اتشحتْ بداكن الليلِ
هل أتممتَ ما نسيتْ فينا الحكاياتُ
من وجدٍ قد اتسعت فيه العبارةُ
حتىٰ إنّها عبرت فينا
لتسكنَ ومضَ الحزنِ كلَّ دمٍ يسعىٰ
ليكتبَ عنّا ما تذكّره هذا الشتاءُ
وهل أتممتَ
ما ارتبكت فيه القصيدةُ
تبني عشّها فزعاً
و تستميلُ غماماتي
لأسكبها في ساحةِ النصّ
محموماً بأسئلتي

وكنت أسألُ:

«من دلّ الطريق على مفازتي

كلّ هذا الحزنِ؟

من أسبل الذكرى على مدنٍ

أبقت شوارعها دليلها

و ارتدت في نشوة القصفِ أخباراً

و أجوبةً

يا سيدي «العيد»
ها.. غامَ السؤال على منازلِ النصّ وارتاحت أناملُه
من الإشارة نحوي
وهي ضارعة في أوّل اللغة السمراء
أرّقها ليل القبيلةِ
يدنو من مفازته
لعلـّه المتنبي خطّ خيبته على الجهات
و أغفى في دفاترنا
لعله قمرُ الأصحابِ يأخذني
حيث يُشتـّونَ دوني
حيث منزلهم عالي المحبةِ
باق..

لا أحاوله إلا لأنسىٰ
و حيث البرد منسدلاً علىٰ خطاهم
فينسىٰ دفء خيبتهم
وهم يضيئون يأسي / كلّما ارتعشت
في برهة الصمتِ أقواسي و أشرعتي

يا سيدي «العيد» كم طوّفتَ
تحلمُهم ورداً
وتحملهم نزفاً
و تحبسهم رفّاً من الأغنياتِ الخضر
ما هَدَلَتْ إلا لتعرفَهم
كم ضمّهم موتُهم
كمِ استعادوكَ وجهاً مورقاً بالحضورِ
الآنَ يرتحلُ الموتى إلى خوفهم
هم أسرجوا كل الليالي كي أقول لهم:
«مباركٌ عيدكم»
وأوّلوا كل هذا الوردِ
و اختبؤوا عني لألحقهم... دوماً
و آخذهم دمعاً لخابيتي

أين يمضي المغني؟

إلى أينَ يمضي المغنّي؟
خطاه تقول: الطريق إلى حزنها ممكنٌ
والنداء الأخير على الراحلين
يحثّ أغانيه نحو الدروب
التي علقته على كم أشواقها
يقول المغني: سأترك جمراً
لعل الذين يمرون بعدي
يضيئون أقمارهم من بعيدٍ
فأسهر أيضاً / و أذكر أني مررتُ

خطاه تقول: الطريق إلى وجدهم سالك

«ليس بعدُ» همسنا ليسمعَـنا

غير أن المغني تناومَ شيئاً

وأغفت خطاه

إلى أن حسبنا الغناء تبدّد فينا

فرحنا نهيل سلام اليتامى علينا

أجل... واقترضنا سماءً جديدة

لننسى ونصعدَ

قالت يداه: ينامُ ليحلمَ

قالت خطاه: تناومَ بعض الطريقِ

ليهربَ منا

وليس لينبت فينا قصيدةٌ

* * *

إلى أين يمضي المغني؟
الصغار على مقعد الدرس ضجّوا
و مروا على دفتر الدرجاتِ القليلةِ
كان الطريقُ يسمّعُ
والدرجاتُ تقلّ
كذا.... والغناء تناوم بين رفوف الضبابِ
حسبنا المغني تثاءب
قال الصغار: ينام ليحلمَ
قلنا: تثاءب بعضَ الضباب
ليهرب منا

الكبار على مقعد الحلم
أوّلوا بعض غيبته
راحة من عناء المسيرْ
والتلاميذ من خوفهم
سمّعوا للطريق
وكان يطول بهم
و ينفضهم كالغبار
ويسألهم: أين حلم المغني؟
اذهبوا...
واشرحوا خوفكم للنداء الأخير.
فيبكون
ثمّ يخطّون قوساً جميلَ الخضابِ
لعلّ المغني يفيقُ
ويسهرُ

كان الطريق تطاولَ
كانوا ينامون في دفتر الدرجات القليلةِ
كنا لبثنا....
لنسأل كهفاً جديداً عن الوقتِ
ونسأل قوساً جميل الخضاب:
متى سوف تعدو الأغاني
وتوقدنا أنجماً لا تنام؟.

* * *

إلى أين يمضي المغني؟

الصبية

مدت إليه بحبل الغناء الطويل

فأجهش حيناً

وظنَ الطريق يعيد الصغار إلى مقعد الذاكرة

الصبية قالت: (سألنا عليهم) غبار المراحلِ والعابرين

الطريق تناوم أيضاً

فقال المغني: جِدوهم هناك...

صدىً للأغاني الشقيةِ

بعضَ احتمالٍ يلوّن حزن السماءِ

التي ظللتنا بخوفٍ غريب

وكان الغناء تبعثر

قلنا: نلمّ الحكاياتِ
نحفظُ بعض المتون
نعيد إلى دفتر الدرجات القليلةِ فوضى النصوص
لعلّ تلامذة أو جنوناً
فلاسفة أو غضاراً
وأرصفة أو غباراً
نهجئهم.. مثل طيفٍ بعيد التمني
الصبية غنّت
ولكنّ جند الهواء تنادوا إلى هدنةٍ
كي يطيلوا الطريق
وكنا التفتنا
لنسأل كهفاً عن الوقت
ونسأل جند الهواء عن الهدنة الحائرةْ

كنا كبرنا

فلاذت بنا الذكرياتُ
وحطّت على حزننا شجراً وطيوراً
و كان المغني يعود إلى النصّ ليلاً
فنغمض عين السؤال عن الكهف
والوقت
والأغنية.
كان الطريق تلعثم
صار غريباً
فلذنا به
لا لنسيرَ
ولكن لنسأل أين المغني
وأين خطاه
التي ألجأتنا إلى فسحة الناي
نشقى بها
ونحثّ إلى شوقها دالية.

على وشك الريح

رفّ حمائم مغسولاتٍ بالأزرق
ينبتن على باب القلبِ
يهجّين قصائده
يهذين به
يرسمن نقاطاً بيضاء على سبورة قلقي
نصّاً منذوراً للطيران
مليئاً بقصاصاتِ الوجد
إشارات يحفظها العاشق
أو يفضحها العابر
مرتحلا في كتب الشيخ الراحل أبداً في المرثية
كي يحملنا في الحرب إلى الفكرة
أو في الصبح إلى الوردة.

«كان له موسمه، و مريدوه، و كوخٌ، ووسائد،
كان له رُطبٌ يملأُ قصعتهُ،
ونهارٌ يشرح فيه الدالية تمدّ الظّل،
و يشرح فيه الذكرىٰ تسرح فينا ندماً مبتلاً بوجوه الغادين».
-أتعبت الحزن الغافي أول نصّك
فاختر شرطين جديدين لتبقىٰ:
- «أن تحرس ميتتها حتىٰ تثمر عشاقاً منبوذين.
- أو أن تذبل في موسمها المشبوك بخيط مراثينا الممتدّ».

يعذّبني الشيخ..
يعذبني حين يخبّئ عنّي العارفَ في سحنته
و يعذّبني حين يدسّ لي الرؤيا في صُرّتهِ
و يعذّبني حين يدثرني بوصايا الصمتِ
ويسرفُ في الرؤيا فتغيم على عينيه الأسماءُ، فيجهشُ:
«أتعبنا هذا السفر المتطاولُ....
فالتمسوا في هذا الليل غناءً كي نمكث فيه
و نسأل عن ولدٍ أفلتَ من قمصانِ الوجدِ ورفرفَ.. صعلوكاً..
تتضاءل دونَ متاهته الأشياء»

رفّ حمائم

ينبتن على سلك البرق

يهجين غمامته

ياليل التهطال الداني، سُحّ إلى آخر نجمتها

ـ بالله عليك ـ و شاركها قهوتها

و اسرق من عينيها الذابلتين سؤالي عنها

خذ من صورتها المائلةِ

وقوف الشعراء الطليين على خيبتهم

بردانين..... يتامى

يا ليلُ
و قل للقبر الماكث: «دعها تخرج أحياناً كي تبحث لي عن قلقي»
قل: «ستعود إليك.. فلا تخشَ الموتىٰ إن خرجوا أحياناً
و اغتسلوا بالريح.. و ناموا
أو نفضوا عنهم ذكرىٰ الباقين الأحياء».

رفّ حمائم
قرّبني من حزني المتأنقِ بالأزرقِ
رفّ حمائم لم يذبح بعدُ
ولم يفتح للريش حساباً في أيام الريح
ولم يعرف معنىً لهديل دمي.. بعدُ
ولم ينسب فوضى الغيم إلىٰ جهة الروح
ولم يترك لي ما يشبه نهراً
أو قمراً محزوز القلب
ولم ينشد: «نحن بلا موتٍ أفضل».

كنت على وشك الريح، أغنّي
و أطير كذلك
أحذف من لغة الطيران الخوف
و أفرح بالوردة أحياناً
أكتب ما يمليه عليّ الشييخُ
أردّ تحيتها
و أسافرُ في جهة النونِ
فأحرس قافلة الضمةِ من أدوات النصب
و أرسم للمدن المغدورة
ليلاً منسياً في كتب القصف
و مشغولاً بالفضةِ
يأتي.. من حبر الشعراء

كنت أحاولُ أن أعرفَ

أو أغرف

لم يبعد عن خطواتي القبر كثيراً

لم أنسَ

ولم أغمس خبز نشيدي بالطارئ

كنت وحيداً

أرسم ليلاً للمدن المغدورة

و جناحين ترفرف ملئهما الرؤيا

بيتاً عالي الجدران

يُظلّ الشيخ الراحلَ

في المرثيّةِ أبدا

كنت أحاولُ

لم أختر شرطين جديدين

ولم أغفل عن قافلة الضمّة

أو أدوات النصب تراودُ أبناء الجملةِ

كنت أحاول
حيث الليل طويلٌ، حيث بلادي
حيث الموصوفات الداكنة الأوصاف
وحيث الآتي
رفّ حمائم
ينسجن الأزرق
شالاً مشغولاً بغوايات الطيران

و أيضاً
رفّ حمائم هذّبن فضاء السبورةِ
و رفعن جنون الموسيقا حيثُ اللاحيثُ
و جئن كلاماً عذب الريشِ
و خوفاً يلغو في المتن بكامل جرأته
و يغني و يغني
حتىٰ آخر أحزان الفقراء.

لمن قمرٌ يعبر الآنَ؟

لمن قمرٌ يعبر الآن؟
لمن ينحني في تمام فجيعته؟
ويمَسّي على عتمة الحبر
يدنو عصيّاً على الغيم
والبرد
والريح
يفلت منها
فنأخذه حيث وردٌ
وبعضُ مكاتيبَ يقرؤها
وجهاتٌ تعلّمنا كيف نضحك
حين يدلّ علينا البكاء

لمن قمرٌ نزّ في طرقات المدينة؟
يسرق منّا الموسيقا ويرحلُ
كنت أظنّ دمي يستعيد خيوط ضفيرتِهِ
نائماً في الكلام النحيل
يهدهدنا بين حزن وحزنٍ
ويسعى ليرسم شيئا يسمونه الذاكرة
كنتُ أظن السماء ستعلو
أقصد تعلو
ولكنّ سيناً مدلّلةً
تذكّرنا بوجوب التوجّسّ

نعمْ

والقصيدة تدنو

وتمنحني سرّ عشاقها الراحلين

وتفضحني في قميص الجنون

وكنت أظنّ النجوم ستمكث أيضاً

أجَل

والمنام الذي كان يجفو

سيمسكني من سهادي

أظنّ جهاتِك أكثر

أظنّ البلاد تشدّ على القلب خوفي عليها

أظن البلاد دم الغابرين

تجمّعَ حتى استحال تراباً

وناساً

وخيلاً يرقّصها الغابرون

وماءً

أظنك قربي

وإن كنت عني بعيدةٌ

تلمّين حزني كهذي القصيدةٌ

أظن القصيدة تدنو

وتلمسني من ذراعي

فنذهب في سهرة لأقاصي الجنون

لمن قمر يعبر الآن؟

لمن يكتب الطيبون؟

أريد له أن ينامَ
ويحلم بالعاشقين
أريد له أن يموت
لنرثي الليالي الطوال
أريد له
أن يخبئ سطراً من الأغنيات القديمةِ
في جيب حزنٍ مضيءٍ
لأحفظ شيئاً من الولد الذي كنته
وأريد له أن يرىٰ
وردةَ الأصدقاء
تحطُّ علىٰ كتفي ثم تبكي

أريد له أن يشدَّ القصيدة بالحالمين
أريد لهُ أن يمرّ عليهم
يقول لهم: كم نسيتُ
ولكن دربَ القصيدةِ
يفضي إلى شجرٍ في أعالي العتاب
أريد له أن يغني لنجمتها
حين أغفل عنها
أريد له أن ينام على ركبتي لأغنّي له
ويسمعَني حين أهدم بيت الحكاية
فوق مشاهدها
والحبكةِ المشتهاةِ
وفوضى عناصرها المتعبةً
لمن قمرٌ يعبر الآنَ
ويغفو على صخرة معشبةٌ؟

يغافلني حين أكتبُ
يخطَفني من جهاتي
فأمسح عنه الكلامَ النحيلَ
الذي ذوّبوه على صخرةٍ في الحكايةِ
أسعى لأقطفه بين حزني وحزني
أُعين عليه دمي
وأكتبه نصف أُضحوكةٍ
تذرفُ العاشقين
تغيب لتكبرَ فينا
أعين عليه دمي وأطيعُ الكتابةَ

أدنو لأقطفه
فيضيء
ويبهرني
فأخافُ

وأدنو لأقطفه

فيضيءُ

فيبهرني

فأخافُ

فأجهش

أنهىٰ يدَيّ عن البعد

أحملُ قلبي وأكتب:

«بين حزني وحزني تكوّم نهرٌ من الضوءِ

أسرىٰ صعاليك دوني

أطالوا عليّ الترحّمَ

ماتوا من البردِ ليلاً وعادوا

أراحوا علىٰ دفتري وردة الأصدقاء

حدودُ الكنايةِ أعلىٰ من الحالِ

والنجمةِ العابرة».

لمن قمرٌ يعبر الآنَ

يصعد غيمته الماطرة؟

حيث وردٌ
وحيث جهاتٌ تعلمنا كيف ننسى
نريد له أن يظلَّ
ولو خبراً
أو شبه قوسٍ نسدّد منه الأماني
ونقول له:
«لا تشدّ عليك الغيوم
دثاركَ تلويحة المتعبين
وعشب قصيدتها
ضحكة أطفالنا
والأغاني»

وحيث المحابر خضراء
يذرفها فتية طيبون
لمن قمرٌ يعبر الآنَ
يأخذنا في أقاصي الجنون؟

وأمس انتظرتكِ

في الطريق إلى شبهة النصّ
يعدو المغنّونَ
يعدو صباحٌ بقهوتهِ
و يثرثرُ
تعدو ظلالٌ تخبّأتُ فيها
و يعدو الكلام الأخيرُ
و تعدو مشاهدُ تقفزُ فوق السطور
فنذكر كم عذّبتنا
و أحيت جهاتِ الصبابةِ

تعدو القواعدُ
تعدو تواريخُ تذبلُ
يعدو مجانينُ ليلىٰ
السحابة تعدو لتبكي عليهم
وتعدو نقاط الإضاءةِ
يعدو الفضولُ
ويعدو الحصان المدلّل في المسرحيةِ

تعدو البلاغةُ أيضاً
تحاسبنا في المعاني الجديدةِ
تعدو بنفسجةٌ في مهبّ المساء
تعدو الفواصلُ
حاشيةُ الفعلِ تعدو
الفراشات تعدو
الصعاليك في ذكريات القصيدةِ يعدون
بلطة القاتل المستظلّ بأشلاء هابيل
تندىٰ وتعدو
اللصوصُ كذلك
سربُ الحمام القريب من الذبح يعدو
وتعدو بلادٌ بكامل جملتها الواهنةُ
ثم أبكي
وأعدو إليها
وأنسىٰ الطريقَ إلىٰ النصّ
وأنسىٰ غواياته الفاتنةُ

وأمسِ انتظرتكِ

قلت: بلادي نهارٌ حزينٌ من الأغنيات الطريق

إلى النصّ أمهلني لأقولكِ

كنت قريباً من البيت

لكنّني أتحاشى اللقاءِ

طيور دمي نقّرت في ارتباك ضلوعي

أعيدُ عليّ صباحكِ

أنجو بنفسي من الحبّ

إلا التفاتةَ قلبي إلى ظل أحزانك العامرة

هو القلبُ

يغسلني بالمساء القليل

ويرمي على وردتي ذاكرة

سألت عن الحال

أكلتِ؟

شربتِ؟

وكيفَ المواويلُ بعدي؟

النهارات بعدي؟

صلاتك؟

حزنك؟

درب الصباح إلى المدرسةْ؟

الطيور القليلة في فسحة الحزن؟

نومُكِ؟

حلمُكِ؟

القصيدة تخطر في ورقي؟

والبساتين في قلقي؟

سألتُكِ
قلتُ بلادي نهارٌ من الحزن
تعدو إلى شبهة النصّ
تحذفنا من أفولٍ أكيدٍ
وتسكبنا في أفول جديد

صباحاً..
كما لم يطلّ صباحٌ عليك
سعيداً.. يكحل عينيك بالاشتياق
بحزني.... وحزنك
كل هذا الصباح لديك
كلّ هذا المساء لديك
فصبّي على حزننا الإنتظار
حطّي على نجمة ساهرةٍ

لا عليكِ
تأخرتُ عن وجعي
فالتجأت إلى حلمٍ
و جهاتٍ
و ليلِ القصيدة

في الطريق إلى سورة الفاتحةْ
كان قلب المؤذّن يبكي
كأنكِ كنتِ معي
لا الشتاء شتاءٌ
ولا نغمة النهاوندِ اعترافٌ بحزنِ صديقٍ
ولا قلبُها قلبُها
ينحني مثل غصنٍ عليه
ويسألُه:
«كم غيابك هذا طويلٌ»

لا الشتاءُ قميصٌ أنام به
آه.. لا الشاي يحلو
ولا ضحكة الأصدقاء تخدعني
ولا كذبة الرائحة

في الطريق إلى نشوة الصمت
كنت أعبرهم
وأنادي عليهم
وأتمّم بالغيم معنىً قديماً
وكنت كما دائماً
«ولداً في مهبّ السؤالِ
رغيفاً طويل المساءِ
تقاسَمَهُ الجند والعابرون
فأجهش في اللغة الواضحة»

سديم

أقلّب في الأمر
لا بحار أراها
ولا برّ
و لا أشقياء يخبّون نحو السفين
و لا ثمّ نورسةٌ بشّرتنا بحبر الحياة
على جلد أرضٍ جديدة

أمامي سديمٌ
و لا بدّ من جبلٍ عاصمٍ
حتى وإن رسمته الغيومُ
على دفترٍ للشتاءِ

أمامي سديمٌ
ولا بدّ من قلب أمّي
ووجه أبي
لأحفظ موقع قلبي
على المركب المترجرج
يعثر في المهمهِ الصعبِ
دون وصولٍ
كريحٍ أقلّت طيوراً
و ناءت بها
ثمّ حطّـت على ذيل زوبعةٍ تائهة

أمامي سديمٌ
و لا بد من إخوةٍ يعرفون دمي
وبلادٍ أخاصمها
و أعداءَ أشكرهم حينَ أنجحُ

لابدّ من حائطٍ دافئٍ نبوح له
وظلالٍ تخبّئنا
لابدّ من قاتلين أشدّاء
يعطون معنىً لأقدامنا في الهروب

أمامي سديم
الأغاني سديم
الفراتُ سديم
الرمالُ سديم
الهواء الذي يحمل فوضى الغيوم سديم
الذكريات سديم.

خلا كاهنٍ
يمشِط لحيته بهدوءٍ
تربّتُ بسمته فوق حزني
و تدلّ على منفذٍ غامضٍ
خلا ثلجِ لحيتهِ
و انبساط يديهِ على الأفقِ
مهابتِه
وعصاه

بين عتمٍ و عتمٍ أراه
يبينُ ويخفى.. ويبين ويخفى
يغيم على وجهه الغيم
مثل قريتنا حين يغمض هُدْب الشتاء عليها سحابته
ثمّ أراه
تلوّح ضحكتُهُ
فأدسّ الكآبةَ في جرّة الوقتِ
وأرسم قوساً مديداً على شفتيّ
فيمضي
أناديه
أرفع كلتا يديّ و أصرخ: «ظَلَّ»
يعود السديم
ويملأ متن الحكايةِ.. يملؤني
حتى إذا ما بدا لي المكانُ سديماً
تجلّى لي الشيخ ثانيةً
وأراح ابتسامته
فوق هذا السديم.

أقلب «روزنامة» الأمرِ
لعلّ خريفاً يضوّئ في يأسنا قمراً
أو يحثّ إلينا الخطا
ثم يحفر في صفحة الغيم صورة شيخٍ تبسّم في صبح محنتنا
ثمّ غادرنا.

لا بحار نراها تعربد أمواجها
وتعيد مراكبنا
لا براري مفتونةً بالأغاني
لا صهيل يعيد إلى دفتري غيمة الدمّ
يتقيها وليدٌ
ويحملها في الصباح نشيدٌ
و خيّالة عابرون.
لا سفينةَ تحمل شيخي الذي غاب عنّي.

أقلّب في الأمرِ
أستعين على الفقد بذاكرتي
أستعين بصورة جدّي
فما زال ينهر أحفاده إن تناسوا صلاةً
أو «تعاطوا أمور السياسة»

أستعين بشيخ المعرّة رغم تجهمه في القصيدةِ

أستعين بجاري يؤذّن ملء سماء القرى
ويسامرنا صوته في السحور

أستعين بشيخي: «أبي»
فما زلت أحفظ صورته منذ سبعٍ وعشرين
ما زلت أعرفه
حين تنهض بسمته ملء أحزانه.
أملأ كل البياض المتاح
بليلٍ يشبه هذا السديم
وأنثر برقاً خفيفاً
أجمّع فيه تفاصيل شيخٍ يمشّط لحيته
باسماً
رغم هذا السديم المقيم.

أخضر الذكريات

يناقش في الحبّ أصحابي الأشقياء
فيحكون عن وجعٍ أخضر الذكريات
و ينسون أسماءهم في الطريق إليهنّ
ينسون ظلّ النهار الأليفِ على حائط البيت

يناقش في الدرب أصحابي الطاعنون
فينسى الجميعُ الجميعَ
وينشغل الدفتر المدرسيُّ
بتدوين شعرِ أميرٍ
كان يعدو كـ«فُلوٍ»
ولمّا تناهبه الثأر والشعرُ نادى:
« بكى صاحبي»

تسلل بين السنينَ إلينا فلم نبكِ
كان البكاءُ انتهىٰ منذ وقتٍ
فالمراثي الجليلةُ أفنت دموع القبيلةِ
لم يبقَ دمعٌ يسيل علىٰ ميّتٍ
أو يعارُ
إذا ما الشعوبُ الصديقةُ
ناءت بكارثةٍ أو بددٌ.

يناقش في الشعر أصحابي الشعراء
فنذكرُ أحرفنا تتضاءل
بين الرصيف
وحبر الجريدةِ
نذكر كم قزّمونا
وكم قد تصعلك فينا الفتىٰ الجاهليّ

يسافر ملء قصيدته
فتكون له خيمةً وسحابةً
وتكون له نجمةً ودليلاً
وعطراً
إذا نازعته النساء حروف الكتابةُ.

يناقش في الفقرِ أصحابي الفقراءُ
فنحكي كثيراً
ونشكرُ للفقر
أنّ لنا متعةً في الكلام عن الأغنياء
ونهمسُ: «أرواحنا لم تشحَّ»
فلا قلبَ يخضرُّ إلاّ إذا ما رمينا عليه السلام
و لا بيتَ يفرحُ إلا بنا
و لا زيتَ يوقدُ إلا إذا ما نفخنا على النار
نحن الخضمُّ العظيمُ
ونحن الهشيمُ

يناقش في الحرب أصحابي الساهرون على شاشة لا تنامُ
فنرسم فوق الخريطةِ جسراً
نمدُّ لكل احتمالٍ مساراً
نحشد فوق الخريطة شعباً
فلاسفةً وملوكاً
و تاريخ أجدادنا الطيبين
ونحشد ما قاله الشعراء عن الحرب
منذ «أمرتهم أمري»
إلى «دفتر النكسة» النازفةْ.

يناقش في الحبّ أصحابي الواهنون من الحربِ
نلوذ جميعاً بأسمائنا
ونفكّر فيهنّ، يرفرفن ملء قصائدنا
ويخذلننا في الدروب الطويلةِ
يذهلن عنا
فنذكر ظلّ النهار الأليف على حائط البيت

وقمصان أحلامنا بعدُ بيضاء
و ناصعةٌ لم تُقدّ
و نذكرُ أقدامنا في الطريق
وفوضى الأمير الذي شغل الدفتر المدرسيّ
بذكرى غريبٍ
رأى في الغريب نصيراً يذلُّ بني عمّهِ

وذابوا
ظلّ خيط الكلام دليلاً
كجمرٍ عزيزٍ يذكرنا باحتراقٍ عظيم
رأيتهمُ ملء أذني كلاماً كلاماً

وغادرني الحبّ
لم يأتِ منهم أحدٌ
وعاتبني الدربُ حين استرحتُ
فلم يأتِ منهم أحدٌ

ثمّ نسيت القصيدةَ
نسيت ضريح امرئ القيس الغريب
فلم يتذكَر أحدٌ

وبلّلني الفقر حتىٰ غرقت
فلم ينتمِ لي أحدٌ

ثم عدت من الحرب
ألوذ بشبه مُعَزٍّ
يذكرني بالفرّ والكرّ
وخيط التفاؤل حين يقلّ العتادُ
ويفنىٰ العددٌ

فلم يأتِ منهم إليّ أحدٌ

فهرس

لم يكن ظلّ صديقي عالياً..... كي أستريح 7

إلى الذي يأتي ولا يأتي 15

إليها فقط 25

شفق خضيب الاحتمالات 33

غروب 43

المدينة 51

مروا عليّ 59

يا عيد!! 73

أين يمضي المغني؟ 79

على وشك الريح 87

لمن قمرٌ يعبر الآنَ؟ 95

وأمس انتظرتكِ 105

سديم 113

أخضر الذكريات 121